ولي الدين يكن

للاديب عبد الخالق عبد الرحمن

هنالك صحائف مطوية لشعراء عاشوا في العصر الأخير لم يذكر لنا الكتاب عن سيرتهم ما يروى الغلة وقد أثرت أن أجمع بعض الأشتات فأكون مقالة عن الشاعر الأديب المرحوم ولي الدين يكن. فهو شاعر في كلا الفنين المنظوم والمنثور يصوغ كلامه المرسل كأنه شعر موزون ويسبك الشعر كأنه النثر سهولة وطلاقة وطبيعة وانقياد قواف، حتى لو حللت نظمه ما جئت بأسهل منه، فأنت بين هذا النثر الأنيق وذلك الشعر الطلي لا تدري أولي الدين أشعر في هذا أم في ذاك، لازمه لأنه لم يجر قلمه إلا بما خفق به قلبه. وهو في كلا الفنين ذو القلب المتألم مما حوله ولمن حوله. ولأنه قلب حساس شريف تخدمه مخيلة ترى ما لا يراه الغير حتى أصبح كما قال هو عن نفسه

قلبي يحس وهذه عيني ترى ما حيلتي فيما يحس وما يرى

كان ولي الدين شاعراً في قصائده العصماء يحلق في عالمه العلوي بجناحي الخيال والشعور، وينظم في سلك بيانه الابتسامات والدموع دراً ابن منها الجواهر التي تزين النحور.

كان شاعراً في (معلومه ومجهوله) وقد ضمنه مذكراته عن منفاه فظهر كأنه المغلوب الغالب والمقهور القاهر.

كان شاعراً في (صحائفه السود) وهو يئن من الظالم الذي انتابه، والحيف الذي لحقه، والجهالة التي سدت عليه منافذ الحرية، فكان في أنينه دوي التهديد، وفي شكواه رعد الوعيد.

كان شاعراً في (تجاربه) وما استفاد تجربة — ككل مجرب — إلا وقد امتلكها بشيء يخسره من الأمل حتى جاءت كما يقول وكما هي (آلام مصوره وشكاوى متجسدة)

كان شاعراً ملء روحه الشاعرية وملء قلمه الفصاحة، يسمو النفس بسلاسة ألفاظه ورقة قوافيه وعذوبة أسلوبه، ويملك القلب بلطف معانيه التي يصورها تصويراً كله سلامة في الذوق ونزاهة في الفن وجزالة في التعبير الرائع، وقوة في التركيب الفني وموسيقية الألفاظ المنتقاة فتراه يسترضي القارىء ساعة حتى ليملأ قلبه سروراً وصفاء. ويستبكيه حين يبكي ويتألم حتى ليجعله يلمس دموعه لمس اليد ويحس بناره تتأجج من خلال ألفاظه.

لقد مازجت شاعرية ولي الدين يكن نفساً عزيزة حساسة وقلباً شريفاً، فكان إذا تأثرت نفسه وخفق فؤاده قال الشعر فيرسله دون إتعاب فكر ولا اجهاد قريحة. وقد ظهرت خصائص هذه الشاعرية في امتداد نفس القول لديه امتداداً لم يدرك فيه عاطفته المندفعة ضعف ولا فتور، وفي استقصاء الموضوع استقصاء يشمل جميع نواحيه في روعة الأسلوب الذي يهز المشاعر هزاً عنيفاً ويترك في النفوس أثراً عميقاً.

هذا قليل من كثير وغيض من فيض عن ولي الدين الشاعر الكبير. أما ولي الدين الحر الشريف المخلص بين أشرف الأحرار فلا تقل منزلته عن منزلة ذاك

كان حراً في تفكيره وأقواله، كان في طليعة أحرار الشرق متعطشاً إلى الحرية والاستقلال والانعتاق من القيود التي ثقلت عليه فقد صهر أغلال التقيد فكسرها ورفع فوقها علم الاستقلال الفكري عالياً خفاقاً فكان لا يقول إلا ما يوحيه إليه يقينه ووجدانه حتى كان كالشاعر الملك الضليل أمرىء القيس لا يقول الشعر رهبة ولا رغبة فأمكنه أن يباهي فيقول.

إذم فلا أخشى عقاباً يصيبني ومدح لا أرجو بذاك ثواباً

وهكذا كان شأنه في كل ما كتب ونظم وهذا ما كان يريد أن يكون لسان حال الغير قال (لا أبالي الثناء ولا أبالي الهجاء وانما أبالي ان يصدق في أحدهما) ولطالما أضرت حريته هذه بمصلحته بين قومه بل وبين عشيرته كما يعرف ذلك معاصروه. ولو شاء ولي الدين أن يضحي ولو بالقليل من حرية رأيه واستقلاله الفكري لكان له شأن كبير في تركيا أولاً وفي مصر ثانياً؛ ولكنه آثر على كل ذلك أن يعيش حراً طليقاً فيقول:

وأعتلي كرسي مستكبرا كالملك فوق العرش إذ يعتلي